سلسلة أوقاف أشيقر

١٤

أوقاف الكتب
في وثائق الأوقاف بأشيقر

كتبه

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم السماعيل

١٤٤٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أوقاف الكتب
في وثائق الأوقاف بأشيقر[١]

مقدمة:

يعد الوقف من الظواهر المجتمعية التي ساهمت بشكل فعال في ازدهار المجتمعات الإسلامية والنهوض بها، كونها نوعا من أنواع الصدقات التي شرعها الإسلام وندب إليها لفائدتها الكبيرة وانعكاساتها الإيجابية على الفرد والمجتمع، فإلى جانب دورها الكبير في ا لمجال الاجتماعي والاقتصادي الذي لا يختلف عليه اثنان، فإن للوقف أهمية كبرى في تعزيز الحياة العلمية والفكرية وازدهارها، عبر مساهمته الفعالة في تشييد منابر التدريس ورعاية الأنشطة التعليمية ودعمها[٢]، ووقف المكتبات والكتب[٣] وهو أحد صور الوقف المنقول يعتبر أحد أهم مفاخر الحضارة الإسلامية ومآثرها التي فاقت بها سائر الحضارات، والتي ساهمت في نشر العلم والمعرفة في المجتمعات الإسلامية ومنها انتقلت إلى المجتمعات الأخرى التي أصبحت تدين في تطورها وتقدمها لهذه المؤسسات الثقافية الإسلامية.

وقف الكتب:

وقف الكتب يعتبر أحد صور الوقف المنقول[٤] برزت أهميته منذ وقت

(١) بلدة أُشَيْقِر (بضم الهمزة وفتح الشين وسكون الياء وكسر القاف)، بلدة معروفة تقع في إقليم الوشم في منطقة نجد وسط المملكة العربية السعودية تقريبًا، وتحدد بخط الطول ١٢ – ٤٥ شرقًا، وخط العرض ٢٠ – ٢٥ شمالًا، شمال غرب مدينة الرياض العاصمة، وعلى بعد حوالي ٢٠٠ كم منها، وتتبع إداريًا لمحافظة شقراء، والتي تتبع بدورها إداريًا لمنطقة الرياض.

(٢) لخضر، زينب، و مليكة حميدي (٢٠٢١م)، وقف الكتب والمكتبات وأثره في الحياة العلمية بالدولة الزيانية خلال القرنين (٧ – ١٠ هـ / ١٣ – ١٦ م)، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، جامعة وهران، م ١٠، ع ٣.

(٣) للاستزادة عن موضوع وقف الكتب ينظر: الحسين أكروم (١٤٤٤هـ)، وقْف الكتب في الحضارة الإسلامية، الطبعة الأولى، إدارة الدراسات والعلاقات الخارجية الأمانة العامة للأوقاف – الكويت.

(٤) قال ابن عابدين: «لا يخفى عليك أن المفتَى به الذي عليه المتون جواز وقف المنقول المتعارف»، حاشية ابن عابدين، لابن عابدين (٤/٣٩٠).

طويل في المجتمعات الإسلامية حين أدرك الواقفون الأثر المميز للكتب في تحقيق النهضة العلمية وتعزيز التقدم المعرفي ونشر العلم والقيم الدينية، وبرز الأثر الفعّال لهذه الكتب الموقوفة في ازدهار المجتمعات الإسلامية على مر العصور.

حكم وقف الكتب:

أجاز الفقهاء وقف الكتب قياسًا على وقف المصاحف، وذلك لما فيها من النفع والخير للمجتمع، ولحاجة المجتمع أفرادًا وجماعات لهذه الكتب لرفع الجهل، ونشر الوعي، وتعزيز القيم، وتحقيق النهوض الحضاري للأمة. «وقد قاس العلماء وقف الكتب على وقف المصاحف بجامع اشتراكهما في مناط علة نشر العلم الشرعي [1]، فانتزعوا من ذلك مشروعية وقف الكتب، ومن ثم أجمعوا على جوازه»[2]. ووجه مشروعية وقف الكتب آتيةٌ من فِعل عثمان بن عفان رضي الله عنه لما أرسل المصاحف إلى الأمصار، وعلى فعله هذا استند مجوزو وقف الكتب.

ويكون وقف الكتب من جهة المستفيدين من الوقف في صورتين:

الصورة الأولى: الوقف المعين (المخصص): وهو الكتاب أو الكتب الموقوفة على شخص معين كالذرية، أو أمام المسجد، أو طالب علم بعينه، أو بلدة بعينها.

الصورة الثانية: الوقف العام: وهو الكتاب أو الكتب الموقوفة على مجموع الناس، كطلبة العلم، أو العامة.

(١) نقل عن الفقيه الحنفي نصير بن يحيى (توفي ٢٦٨هجرية) قوله: (يجري على الكتب ما يجري على المصاحف، لأنها تدعو إلى الدين، وتساعد على فهمه)، ويستفاد من موقف هذا الفقيه أن الكتب التي أجاز وقفها هي كتبُ الدين المرتبطة بالقرآن الكريم ككتب التفسير، وكتب الحديث، وكتب الفقه، وغيرها، ينظر: بنبين، أحمد شوقي (١٤٣٤هـ)، ظاهرة وقف الكتب في تاريخ الخزانة المغربية، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ع ٤٠٤.، وبناء على ذلك فلا يجوز وقف الكتب التي تدعو إلى الكفر والزندقة أو البدع أو الفسق.

(٢) الحسين أكروم (١٤٤٤هـ)، وقْف الكتب في الحضارة الإسلامية، إدارة الدراسات والعلاقات الخارجية الأمانة العامة للأوقاف – الكويت، ص ١٣.

كما يكون وقف الكتب من جهة عدد الكتب الموقوفة في صورتين:

الصورة الأولى: وقف الكتب المفردة الخاصة:

الصورة الثانية: وقف الكتب المجمعة: وصورته في وقف المكتبات الخاصة بالعلماء، وطلبة العلم، والأمراء، وغيرهم.

طرق اثبات وقف الكتب:

تعددت طرق إثبات الوقف للكتب، ومن صور ذلك:

الصورة الأولى: كتابة نص الوقفية على الكتاب نفسه، وغالبًا ما يكون ذلك في الصفحات الأولى، ويكون النص في العادة مختصرًا كقولهم: هذا الجزء وما بعده وقف لوجه الله على بلدة وشيقر لا يباع ولا يوهب ولا يبدل فمن بدله بعدما سمعه فإنما أثمه على الذين الذين يبدلونه أن الله سميع عليم وهو بيد عبدالعزيز بن سليمان الفريح[١].

الصورة الثانية: كتابة نص الوقفية في وثيقة وقف شاملة، يبين فيها اسم الكتاب أو الكتب الموقوفة، والناظر عليها، وشروط الواقف، والمستفيدون من الوقف، إلخ. وتسجل أمام القضاء الشرعي، وتصدر بها وثيقة وقفية رسمية[٢].

الصورة الثانية: وضع ختم يشير إلى أن هذا الكتاب وقف لله تعالى، ويكون أحيانًا على صفحة الغلاف، وفي بعض الكتب الموقوفة يتم وضع الختم على صفحات متعددة ومتباعدة من الكتاب الموقوف.

نظار الكتب الموقفة:

- امام المسجد.
- أحد طلبة العلم.
- الصالح من الورثة.

(١) وثائق الفريح، مكتبة الشيخ عبدالعزيز بن سليمان الفريح. وينظر: السماعيل، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم (١٤٤٥هـ)، الشيخ عبدالعزيز بن سليمان الفريح فقيه أشيقر ومفتيها، دار تراث الوشم بشقراء، ص ٥٦.

(٢) في الوثائق القديمة يتم كتابة الوثيقة من قِبلِ شيخ البلدة أو إمام المسجد أو من يتقن الكتابة ويتم تقييد شهادة الشهود على ذلك.

مصير الكتب الموقوفة:

مع طول الزمن، وكثرة تداول الكتب الموقوف، ومع التغيرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية فُقِد الكثير من الكتب الموقوفة، ومن أبرز أسباب ضياع هذه الكتب وفقدها ما يلي:

- تعرضها للنهب والسرقة.
- بيعها من قبل الورثة.
- فقدها بسبب تفريط وتهاون النظار من أئمة المساجد والورثة وغيرهم.
- تلفها بسبب سوء التخزين، وعدم رعايتها وصيانها.
- استعارتها وبقاؤها عند المستعير.
- ضياع الكتب الموقوفة بسبب تلف الصفحات التي كتبت عليها وقفية الكتاب.
- الحروب والفتن ما نتج عنها من حرق ونهب للكتب والمكتبات.

نماذج من وقف الكتب في أشيقر:

١. وقفية الشيخ حسن بن علي بن بسام لأملاكه وكتبه: وجاء فيها: والكتب كلها المصاحف وكتب العلم جميع ما املك منها وقف على طلبة العلم من ذريّتي الذكور دون الاناث ووليها طالب العلم المصلح(١).

٢. ما جاء في سيرة الشيخ عبد العزيز بن عامر -رحمه الله- أنه نسخ عدة كتب من أشهرها كتاب لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف لمؤلفه ابن رجب الحنبلي فرغ منه ١٣٠١هـ وجعله وقفاً على طلبة العلم في أشيقر والنظر فيه لإمام الجامع(٢).

٣. وقفية الشيخ محمد بن عبد الله بن ناصر لكتبه، ونصها: بسم الله الرحمن الرحيم وقف محمد بن ناصر كتبه المعروفه له على أولاده وذريتهم على طالب

(١) البسيمي، عبد الله بن بسام (١٤٢١هـ)، الكتاب والعلماء في أُشَيْقِر خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، الجزء الأول، الوثيقة رقم: ٩، ص ٤٠

(٢) السماعيل، إبراهيم بن حمد بن إبراهيم (١٤١٦هـ)، كتاب من الذاكرة، غير منشور، ص ١٦٢.

العلم منهم فإن لم يكن فيهم طالب علم فهن على قسم الميراث والوكيل عليهن ابنه عبد الله ومن بعده الصالح من الذريه شهد على ذلك عبد المحسن بن إبراهيم بن رميح وشهد به وكتبه حمد بن عبد العزيز العريني وصلى الله على محمد واله وسلم حرر ٣ر٢ سنة ١٣٣٨[١].

٤. وصية الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن عامر -رحمه الله- (ت ١٣٥٦هـ) وجاء فيها ما نصه: كذلك اوصيت بتفسير الخازن الذي على هامشه تفسير النسفي جميعه الطبع واللّطايف خطي بيدي و الناظر على الكتب المذكوره امام جامع أشيقر الموقوفه يبقيها عنده والتي غير موقوفه يبيعها ويدفع ثمنها على الورثه[٢].

نماذج من الكتب الموقوفة:

١. كتاب: لطائف المعارف بخط الشيخ عبد العزيز بن عبد الله العامر سنة ١٣٠١هـ وقد أوقفه على طلاب العلم في أشيقر وتاريخ الوقفية سنة ١٣٤٠هـ [٣].

٢. كتاب: الإنصاف للماوردي عليه توقيف الشيخ أحمد بن إبراهيم بن محمد بن حميدان من علماء أشيقر في القرن العاشر كما نص على توقيف كتب أخرى ذكر منها (الفروع)، (وشرح الزركشي)[٤].

٣. كتاب: الرد على النصارى لابن تيمية بخط الشيخ حسن بن عبد الله أبا

(١) البسيمي، عبد الله بن بسام (١٤٢١هـ)، الكتاب والعلماء في أُشَيْقِر خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، الجزء الأول، الوثيقة رقم: ٢٥/أ، ص ٨٨.

(٢) البسيمي، عبد الله بن بسام (١٤٢١هـ)، الكتاب والعلماء في أُشَيْقِر خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، الجزء الأول، الوثيقة رقم ٢٧، ص ٩١.

(٣) البسيمي، عبد الله بن بسام (١٤٢١هـ)، الكتاب والعلماء في أُشَيْقِر خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، الجزء الأول، الوثيقة رقم ٢٨، ص ٩٤.

(٤) البسيمي، عبد الله بن بسام (١٤٢١هـ)، الكتاب والعلماء في أُشَيْقِر خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، الجزء الأول، الوثيقة رقم ٢٩، ص ٣٩٢.

حسين (ت١١٢٣هـ) وقد وقّفه على ذريته ثم القارئ من المسلمين وكان انتهاؤه من نسخه في ١١٠٢/٩/٤هـ [١].

٤. وقفية كتاب: شرح منتهى الإرادات بخط الشيخ عبد العزيز بن سليمان الفريح في ١٣٦٨/٤/١٦هـ[٢].

٥. كتاب: تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري لابن تيمية، كتب في صفحته الأولى الداخلية النص التالي: تحت يد عبدالله بن عبدالرحمن الجاسر ١٣٥٠، ثم تحت يد صالح بن محمد ال عبدالله الرزيزا وله النظر عليه، وكتب في اعلى جميع صفحات الكتاب أنه وقف لله تعالى [٣].

٦. كتاب كشاف القناع عن متن الاقناع، وكتاب شرح منهى الإرادات، جاء في خطاب مرسل من الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز السويل - رحمه الله- إلى الشيخ عبدالعزيز بن سليمان الفريح - رحمه الله- ذكر فيه أنه بعث له كتاب كشاف القناع عن متن الاقناع، وكتاب شرح منهى الإرادات وأنها وقف على بلدة أشيقر وفي نظارته[٤].

٧. كتاب الدين الخالص الجزء ١، المطبع الأنصاري بدهلي، ١٣١٢هـ، مختوم بختم: وقف لله تعالى لا يوهب ولا يورث فمن بدله بعد ما سمعه فإنما اثمه على الذين يبدلونه[٥].

---

(١) البسيمي، عبد الله بن بسام (١٤٢١هـ)، الكتاب والعلماء في أُشَيْقِر خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، الجزء الأول، الوثيقة رقم ٣٠، ص ٩٦.

(٢) البسيمي، عبد الله بن بسام (١٤٢١هـ)، الكتاب والعلماء في أُشَيْقِر خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، الجزء الأول، الوثيقة رقم ٣٤، ص ١٠٤.

(٣) وثائق الفريح، مكتبة الشيخ عبدالعزيز بن سليمان الفريح. وينظر: السماعيل، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم (١٤٤٥هـ)، الشيخ عبدالعزيز بن سليمان الفريح فقيه أشيقر ومفتيها، دار تراث الوشم بشقراء، ص ٣٦.

(٤) وثائق الفريح، مكتبة الشيخ عبدالعزيز بن سليمان الفريح. وينظر: السماعيل، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم (١٤٤٥هـ)، الشيخ عبدالعزيز بن سليمان الفريح فقيه أشيقر ومفتيها، دار تراث الوشم بشقراء، ص ٥٦.

(٥) وثائق الفريح، مكتبة الشيخ عبدالعزيز بن سليمان الفريح. وينظر: السماعيل، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم (١٤٤٥هـ)، الشيخ عبدالعزيز بن سليمان الفريح فقيه أشيقر ومفتيها، دار تراث الوشم بشقراء، ص ٣٦.

٨. كتاب: كشاف القناع عن متن الاقناع الجزء ٤ مصححا ومراجعا على نسخة دار الكتب المصرية، وعلى نسخة مملوكة للشيخ العلامة عبدالرحمن بن سعدي ومكتوبة بقلم سليمان بن موسى بن سليمان بن محمد الباهلي، فرغ منها يوم الجمعة ١٥ جماد الأولى سنة ١٠٩٧هـ، لمنصور بن ادريس البهوتي، مطبعة أنصار السنة المحمدية، ط ١، كتب على صفحة الغلاف : هذا الجزء وما بعده وقف لوجه الله على بلدة وشيقر لا يباع ولا يوهب ولا يبدل فمن بدله بعد ما سمعه فإنما اثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم وهو بيد عبدالعزيز بن سليمان الفريح وصلى الله على محمد وآله وصحبه ١٤/٤/١٣٦٨هـ[١].

٩. مخطوطة: شرح المنازل في باب التوحيد، كتب على صفحته الأولى أنه: وقف لله تعالى[٢].

وقفات مع وثائق الكتب الموقوفة:

- ادرج بعض الواقفين تنظيمات خاصة بموضوع الاستفادة من الكتب، وآلية استعارتها، ونوعية المستفيدين منها، ومن أمثلة هذه التنظيمات عدم إخراج الكتب خارج المنزل أو المسجد، وألّا يستعير الطالب أكثر من كتاب واحد.
- اتجه بعض العلماء إلى وقف كتبهم بنظارة أشخاص يثقون فيهم لضمان الحفاظ عليها وعدم تبديدها، وحتى يستفيد منها طلبة العلم بعد وفاة واقفها.
- ساهم وقف الكتب في توفير المعرفة لطلاب العلم ونشر العلم وتعليم أحكام الإسلام في مجتمع هم في أمس الحاجة اليها بسبب الفقر والجهل وندرة الكتب.
- مع تطور الطباعة وانتشار الكتب المطبوعة وتوفر المكتبات تم اهمال الكثير من هذه الكتب المخطوطة والموقوفة وتبددت وفُقِد الكثير منها.

---

(١) وثائق الفريح، مكتبة الشيخ عبدالعزيز بن سليمان الفريح. وينظر: السماعيل، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم (١٤٤٥هـ)، الشيخ عبدالعزيز بن سليمان الفريح فقيه أشيقر ومفتيها، دار تراث الوشم بشقراء، ص ٣٦.

(٢) وثائق الفريح، مكتبة الشيخ عبدالعزيز بن سليمان الفريح. وينظر: السماعيل، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم (١٤٤٥هـ)، الشيخ عبدالعزيز بن سليمان الفريح فقيه أشيقر ومفتيها، دار تراث الوشم بشقراء، ص ٣٦.

• تأرجحت الإعارة الخارجية بين الإباحة والمنع حسب الظروف كندرة الكتاب أو وفرة النسخ، وسمعة الطالب المستعير ومكانته الاجتماعية والعلمية، فمن المكتبات من قيدتها برهن خاص خوفا من ضياع الكتب، ومنها من سمحت دون مقابل أو شرط.

كتبه

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم السماعيل

١٨/٤/١٤٤٦هـ

أشيقر